كنت اغلقت النافذة واستوثقت منها قبل أن أنام كما رأيت جارى يفعل ولكن من يصدق .. وتروح زوجتى تكذبنى وتزعم أنى لا شك أهملت كعادتى أو أنى اكتفيت بأن ألمس النافذة بيدى وباركتها ثم قفلت راجعاً وأنا واثق أنها ستغلق نفسها بقدرة الله ومن غير حاجة إلى معونتى . ونظل فى هذا الخلاف السخيف الذى سببه لنا القط إلى الصياح . واتفق يوماً أن دخل علينا قط ضخم بلا استئذان فهممت بطرده إذ حسبنا ما يصيبنا من القطط بالليل ، ولكنى لمحت قطاً آخر واقفاً بالباب يشاور نفسه ، ولم أكد أراه حتى كانت المعركة ناشبة بين القطين ، وكانا يدوران وذيلاهما مرفوعان وكل منهما يتحين الفرصة للوقوع فى خصمه ، وكانت أصواتهما المنكرة كأنها المسامير فى آذاننا ولكنها كانت لهما كموسيقى الحرب على ما يظهر ، ثم اشتبكا بعد أن وزن كل منهما صاحبه وأخفت المخالب تطول وتنغرز فى أجسامهما والأسنان تساعدها ، وكانا يتقلبان على الأرض — أعنى على البساط — وهما يتصايحان بصيحات الحرب وأنا واقف من فرط السرور أشجعهما وأستحثهما وأقول للذى أراه يفتر منهما : «عليك به ! اغرز مخلبك فى عينه . . اقفأها له ليعمى ولا يعود يرى النافذة . . برافو . . برافو . . أحسنت ! هكذا تكون البطولة وإلا فلا . . أيوه . . أعد . . أعد . . بارك الله فيك . . مزق جلده . . أسلخه . . تمام . . مضبوط . . عضه . . عضه بأبله . . لا لالا . . لا تبعد . . عد اليه . . تذكر الدجاجة التى خطفها وحرمنى وحرمك لذتها . . . تذكر — إذا كنت لا تعبأ بالدجاج — الفيران الطرية السمينة التى يصيدها كل ليلة ويأكل لحمها الغريض ويشرب دمها القانى . . . أقدم ياشيخ . . . أقدم . . . أو لم تسمع بقول الشاعر الحكيم : « وفاز بالطيبات الفاتك اللهج » . . . » وهكذا صرت أهيجهما حتى أوسع كل منهما صاحبه عضاً ونهشاً ولاذ أحدهما بالفرار . . . ووقف الآخر برهة يلحس جراحه ، ولكن الغريب أنى لم أر دما يسيل أو يقطر ، ولم تأخذ عينى تمزيقاً فى جلد أحد القطين على الرغم من عنف القتال . . . فهل كان مزاحا . . . أم ريقه ترياق كما يدعى ؟ ومهما يكن من ذلك فقد استرحت من القطط المتلصصة بعد هذه المعركة ولله الحمد . . . وبقيت الفيران قوانا الله عليها إنه سميع مجيب

ابراهيم عبد القادر المازنى

صور سياسية

ليلة فى براتر

بقلم «سائح متجول»

للمدن العظيمة كما للأفراد روح وخواص معنوية تحدث أثرها فى النفس ؛ وللمدن العظيمة أيضاً ذكريات وتقاليد تنم عن هذه الروح والخواص ومن خواص مدينة ڤينا أنها تتمتع بجاذبية مدهشة تنبعث من جميع مظاهرها وحياتها العامة ؛ وللعاصمة النمسوية ماض باهر حافل بالذكريات العظيمة ، واذا كانت صروف الحرب والسياسة قد أسبلت على هذا الماضى الباهر سحابة من النسيان فان المدينة التالدة ما زالت تحتفظ بهذا الروح المرح الجذاب الذى عرفته أيام المجد ، فى ظل امبراطورية عظيمة ، وفى ظل دولة الفن والموسيقى الزاهرة أيام أن كان يطربها ويشجيها ويبكيها آنا بعد آخر آلهة الفن الرائع : موتسارت وشوبرت ويوهان شتراوس

وما زالت ڤينا برغم جميع الأحداث والمحن تفيض بالذكريات الحافلة ، وما زال الروح النمسوى يرفرف نحو الماضى ويستوحيه ويستمد من تراثه كثيراً من آيات الظرف والأناقة والسحر ؛ والخلق النمسوى يجنح بطبعه الى الأدب الجم والرقة المتناهية ؛ وإنك لن تشعر فى أية عاصمة أوربية أخرى بما تشعر به فى العاصمة النمسوية من آيات الترحيب وحسن الوفادة ورقة الشمائل والخلال

ومن ربوع ڤينا وذكرياتها العزيزة حى « براتر » brater ؛ ومن ذا الذى لم يسمع باسم براتر من زوار العاصمة النمسوية ، بل من ذا الذى لم يجذبه ذلك الحى المرح الضاحك الذى كان أيام الامبراطورية مرتع الأمراء والنبلاء ، والذى ما زال مرتع الشباب والحداثة من كل الطبقات ؟ إن حى براتر يمثل ناحية خاصة من حياة العاصمة النمسوية ؛ ومع أنه حدث فى روحه ومظاهره ، فانه ما زال من أشد الربوع والمعاهد إعرابا عن روح ڤينا الحقيقية . وإن أولئك الذين يعرفون كم تعبر أحياء مونمارتر وميجال ومونبارناس عن الحياة الباريزية الشعبية يستطيعون أن يفهموا

كم يعبر حى براتر عن ذلك الجانب من حياة العاصمة النمسوية

وليس حى براتر فى الواقع أكثر من مجموعة كبيرة من الألعاب والملاهى الغريبة ؛ ولقد عرفت القاهرة فى بعض المناسبات شيئاً من هذه الملاهى باسم « لونابرك » ، وكان آخرها ما نظم فى الشتاء الماضى أيام المعرض الزراعى ؛ ولكن ما نشهده نحن فى القاهرة من هذه الألعاب والملاهى ليس إلا جزءاً يسيراً مما يضمه حى براتر من الأندية والمسارح المختلفة التى تعرض فيها أحدث وأغرب الألعاب والمناظر البهلوانية المدهشة التى يطبعها جميعاً طابع المرح والحداثة والدعابة

وفى براتر يجتمع أخلاط المجتمع من جميع الطبقات ؛ ذلك أنه يضم فضلاً عن الملاهى والألعاب الكثيرة ، طائفة من المقاهى والمطاعم الأنيقة التى يرتادها زوار الطبقات الرفيعة ، ويقصدها المحبون ليمتكفوا فى أركانها ومخادعها ، وليهلوا كؤوس الحب بعيداً عن صخب الأندية الحافلة ؛ وقد كانت براتر ومازالت مهبط الحب . ولكم كانت فى الماضى مسرحا للحوادث الغرامية الأنيقة بين أبناء الطبقات الرفيعة ؛ بل إن اسم براتر ليمثل فى مأساة غرامية من أشهر وأروع ما عرف تاريخ الحب : ففى دروب براتر التقى الأرشيدوق رودلف ومارى فتشرا فى أواخر القرن الماضى ؛ وكان الأرشيدوق رودلف ولد الامبرطور فرنز يوسف وولى عهده يومئذ ؛ وكان فتى مضطرم الأهواء يثور على الرسوم والتقاليد الملوكية ، ويشغف بالتجوال فى أحياء ڤينا والاغتراف من مسراتها الشعبية ، وكان كثيراً ما يرتاد معاهد براتر ويمرح فيها . وكانت مارى فتشرا فتاة رائعة الحسن من أسرة نبيلة ، فلمحها الأرشيدوق ذات يوم فى براتر وهام بها حباً ، وهنالك تفتحت فى قلبيهما زهرة الحب . وكان العاشقان يتنزهان أحياناً فى طريق براتر السلطانية المعروفة « بالدرب الكبير » Hsubt Allee ، وأحياناً يلتقيان فى مقهى هنالك يعرف « بدار الأنس » Lust Hals ، وهو ما يزال قائماً فى براتر إلى يومنا . ونحن نعرف كيف كانت خاتمة العاشقين المؤسية فى قصر مايرلنج فى ضواحى ڤينا ، حيث وجد الأمير ومارى فتشرا فى صباح ذات يوم من سنة ١٨٨٩ قتيلين برصاص المسدس ولم تعرف أسباب المأساة وظروفها قط ، وكل ما قيل يومئذ إن الأمير فى نزغة من نزغاته قتل حبيبته ثم انتحر ؛ وذاعت بعد ذلك روايات أخرى ، بيد أن سر المأساة لم يعرف قط

وفى هذه الحادثة التاريخية التى اقترنت باسم براتر ما يفسر منزلة براتر ومعاهده فى قلوب المجتمع النمسوى ؛ وما زالت ذكريات هذه المأساة الغرامية تغشى أفق براتو ، وما زالت ذكريات شهيرة أخرى تمتزج بمعاهد براتر وأنديته ومغانيه ؛ وقد كانت هذه الحوادث والذكريات ، وما زالت مستق لأقلام كثيرة ، ومبعثاً لطائفة من القصص الشائق الشجى

* * *

ومن الصعب أن نصف هنا كل ما ينتظم فى براتر من المناظر والألعاب المدهشة ؛ بيد أننا نعرض هنا بعض ما رأيناه وخبرناه منها ، وإن منها لما يترك فى النفس أثراً لا يمحى ؛ وإذا كان معظم الألعاب والنزه مما قد أعد للأحداث ، فان منها ما تقتضى ممارسته إقداماً وجلداً ، ولقد شهدنا ذات مساء لعبة أو نزهة مروعة خطرة معاً . وكنا أربعة من الأخوان ، فاقترح علينا صديقنا الدكتور (ق) أن نركب القطار الطائر Fluh Bahn ، وصديقنا الدكتور أعرف الناس بڤينا وبراتر ، وكان منظر هذه القطر الطائرة بريئاً متواضعاً ، فهى عبارة عن سيارات صغيرة أعدت لشخص واحد ، وركبت على خطوط مكهربة ، فركبنا جميعاً ، وكان كل ما نصح به « ق » أن نمسك أنفسنا جيداً ، وانطلقت القطر الطائرة بسرعة حتى جزنا نفقاً كبيراً مظلماً قد رتب على هيئة الجو والسماء ، ونظمت فى أفقه نجوم كهربائية ، وهنا أخذت القطر الطائرة تسير الهوينا منعطفة حتى لقد تصورنا وشعرنا حقاً أننا نركب طيارة تعالج الرياح فى الأفق ، ولكن حدثت بعد ذلك مفاجأة مروعة ؛ ذلك أن هذه الطيارات الخيالية اندفعت فجأة الى الضوء بسرعة هائلة لتمثل حالة سقوط الطائرة ، وأخذت ترتفع وتهبط فى منحدرات متعاقبة بعنف مروع مدى دقيقة أو اثنتين ، حتى لقد خيل إلينا غير مرة أن الطائرة ستقذف بنا من حالق ، وكانت دورة عنيفة خطرة اقتضت منا أعظم جهد وجلد ؛ ثم انطلقنا بعدها إلى الضوء ، وتمت التجربة الهائلة ، ونهضنا بأقدام وأعصاب مزلزلة ، وصديقنا الدكتور فى القاطرة الأخيرة يخدجنا بخبث ويبسم لما ارتسم على وجوهنا من بوادر الانزعاج والشحوب

وثمة مشهد آخر فى براتر يستحق الوصف هو « دار الأشباح »

gagst Haus ، وهو اسم يطابق المسمى ، وهى عبارة عن دار كبيرة تخترقها أروقة مظلمة ، ويجوبها المشاهد فى عربة صغيرة تنطلق به فى ظلام الأروقة ، ثم تعترضه خلال التجوال هيا كل عظيمة وأشباح مروعة ، وأحياناً تلطمه يد رقيقه خفية ، أو يرى فى الظلام شبحاً يخرج من قبره فجأة ثم يعود بسرعة ، أو يمر فوق هيكل عظمى فيرسل صيحة مزعجة ، وهكذا يرى عدة من صور الفناء والعالم الأخير خلال وميض النور فى الظلماء

وربما كانت أشهر نُزه براتر وملاهيها نزهة العجلة الكبرى Riesen Raq ، وعجلة براتر تشرف على ڤينا منذ نصف قرن أو أكثر ، وهى عبارة عن عجلة ضخمة يبلغ قطرها نحو سبعين متراً أو أكثر ، وقد ركبت حولها مخادع كبيرة يركبها الرواد ، ثم تدور بهم ببطء فترتفع بهم شيئاً فشيئاً ، حتى تبلغ المخادع الذروة واحداً بعد الآخر ، وعندئذ يشهد الراكب ڤينا بأنوارها الساطعة وأبراجها الشاهقه ، ثم تهبط العجلة بعد ذلك حتى يبلغ الراكب مكان النزول ، وتستغرق الدورة نحو ربع ساعة . ولهذه العجلة الكبيرة شهرة خاصة بين الشباب ، ولها فى الحب ذكريات أيضاً ، ذلك أن كثيراً من المحبين الذين تضيق بهم سبل اللقيا ، يلتمسون مخادع منفردة فى العجلة ، ثم يقضون هذه الدقائق القليلة فى بث لواعج الهوى ، وتبادل القبلات الحارة

وفى براتر يوجد معرض هو أغرب معرض من نوعه يسمى معرض المخلوقات العجيبة Wunder Menschen ، وفيه تعرض حقاً طائفة من أغرب المخلوقات البشرية مثل أضخم امرأة فى العالم يبلغ وزنها ثلثمائة كيلو ، وأطول وأضخم رجل فى العالم وهو عملاق يبلغ طوله نحو ثلاثة أمتار ، وأصغر مخلوقات بشرية ، ونحو ذلك من غرائب المخلوقات والطبيعة

وهنالك أيضاً فى دروب براتر نزه ومناظر وألعاب عديدة أخرى يضيق المقام عن وصفها ، وقد أعدت جميعاً للأحداث والشباب

ويهرع الشباب كل مساء إلى براتر ، يتفرقون فى دروبها وأنديتها وملاهيها ، وهى تغص بهم دائماً ، وهناك يقضون ساعات فى الحبور والمرح ، وينسون هموم الحياة الثقيلة ، وبؤس العيش والعطلة ، لقاء دريهمات قليلة

لقد كانت براتر وما تزال مرتعاً ومتنفساً للشباب ؛ وهنالك بين هذه الدروب المتشعبة والمسارح الساطعة الصافية يجب أن ينسى المرء نفسه برهة ، ويرجع إلى عهد الحداثة ، ليشهد ويمارس هذه الألعاب الصبيانية التى تنفث رغم طابعها الصبيانى كثيراً من روح المرح والدعابة ، وهذا ما يفعله أهل ڤينا جميعاً ، وهذا ما يفعله كل أولئك الذين يزورون العاصمة النمسوية ، ذلك أن سحر براتر لا يقف عند مسارحها ومناظرها وألعابها ، بل إن لبراتر سحراً معنوياً عميقاً يرتبط بماضيها وذكرياتها ، وهذا السحر المعنوى يسبغ على اسم براتر نوعاً من الجلال لا تتمتع به عادة أمثال هذه الربوع المرحة الضاحكة ؛ وإنما تتمتع به براتر ، لأنها استطاعت خلال الأحداث والعواصف أن تحتفظ بماضيها وذكرياتها ، وأن تبقى كما كانت فى الماضى مرتع الأنس والمرح والهوى

وإذا كانت العاصمة النمسوية تفخر وتزهى بمتاحفها ومعاهدها الأثرية ، وقصورها ومتنزهاتها البديعة ، فانها تحل براتر دائماً بين ربوعها محلاً عزيزاً ؛ ذلك لأنها أيضاً أثر الماضى المجيد ، ولأنها رمز العهد الضاحك ؛ والمدن العظيمة ، كما للأشخاص ، شعور يتجه نحو الماضى ويخفق للذكرى

فلا تنس إن زرت العاصمة النمسوية يوما أن تزور براتر ، ولا تنس بالأخص أن تركب القطار الطائر رغم هوله وروعته ، وأن تصعد فى العجلة الكبيرة التى تجثم دائما فى قلب براتر زاهية بأنوارها الحمراء والخضراء ، ولا تنس أن تزور دار الأشباح ومنزل الأنس ، وكل هذه المعاهد والملاهى

(***)

ظهر حديثاً كتاب

فى أصول الأدب

صفحات من الأدب الحى والآراء الجديدة

بقلم أحمد حسن الزيات

يطلب من إدارة « الرسالة » ومن جميع المكاتب

وثمنه ١٢ قرشا عدا أجرة البريد